﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

[التَّغابن: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا أمر الله بطاعته وطاعة رسوله فيما سبق، وبيَّن سبحانه أنَّه المستحقُّ للطّاعة بوحدانيَّته بيَّن في هذه الآية مُعوِّقاتِ هذه الطّاعةِ وحذَّرَ منها، وذلك بقوله: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾؛ لأنَّ بعض الأزواج والأولاد يُعيقون أمرَ الطّاعة ويُثبِّطون عنها، وذلك للانشغال بأمورهم.

ومن المناسبةِ أيضًا: أنَّه لمّا كانت الأوامر في القرآن تارةً تكون باعتبار الأمر الدّينيِّ كسائر الطّاعات المحضة، وتارةً باعتبار الأمر التَّكوينيِّ، وهو ما كان بواسطة مالٍ أو ولد أو أهل أتمَّ سبحانه القسمَ الأوَّلَ في الآيتين الماضيتين، ثمَّ شرع في هذه الآيةِ بذكر الأمر الثّاني؛ لأنَّه قد ينشأ عنه فتنة في الدّين أو في الدُّنيا؛ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾: (حذر) أصلٌ واحد، وهو من التَّحرُّزِ والتَّيقُّظِ. يقال: حذِرَ يحذَرُ حَذَرًا، ورجلٌ حَذِرٌ وحَذورٌ: متيقِّظٌ مُتحرِّزٌ[1]، والحِذْر والحَذَرُ: الاحتراز من المُخيف[2]، والمعنى المحوريُّ: توتُّرُ أثناءِ الشَّيء؛ أي: اشتدادُها وتداخلُ بعضها في بعضٍ مع غِلْظةِ ظاهرِه[3].

2) ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾: (غفر) تدلُّ على السَّتر، يقال: غفر اللّه ذنبه غَفرًا ومغفرةً وغُفرانًا[4]، والغَفْرُ: إلباسُ ما يصونه عن الدّنس، والغُفرانُ والمغفرةُ من الله هو أن يصونَ العبدَ من أنْ يمسَّهُ العذاب. قال تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: 285][5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حذر).
(2) ابن سيده، المحكم: (حذر).
(3) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي: (حذر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفر).
(5) الراغب، المفردات: (غفر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّحذيرُ من فتنة الأزواج والأولاد والأموال

في الآيةِ الكريمة نداءٌ من اللّه لعباده المؤمنين بأن يأخذوا حذرَهم من بعض أزواجهم وأولادهم؛ حيث يفعلون معهم فعلَ العدوِّ؛ لأنَّهم يكونون حجرَ عثرةٍ في سبيل لحاقهم بالجهاد والدِّفاع عن دين اللّه، وهنا يطلبُ القرآن منهم أن يحذروهم، وأن يقوا أنفسَهم من شرورهم وآثامهم، ومع ذلك فهم من أهلك وذوي قرابتك؛ فإنْ كان منكم بادرةُ أذًى نحوهم لموقفهم السَّلبيِّ فاتركوا الأذى والعقاب، واعفوا عنهم واغفروا ما كان منهم، فإنْ عفوتم وغفرتم فلكم المغفرة من اللّه ﷻ؛ لأنَّه عظيمُ المغفرة والرَّحمة بعباده.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ ابتداءِ الآية بالنِّداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

التلطُّف مع التَّنبيه والتَّحذير

ابتُدِئت الآيةُ بالنِّداء الدّالِّ على الإقبال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من باب التَّلطُّف بالمؤمنين، وللإشعارِ بأنَّ النِّداءَ وما بعده ليس على سبيلِ الزَّجرِ والتَّوبيخ، وإنَّما على سبيل التَّودُّدِ والتَّحبُّبِ بقصدِ التَّوطئةِ للجملة الخبريَّة الَّتي ستأتي بعد النِّداء، فهو خطابٌ "يفيدُهم كمالًا ويُجنِّبُهم ما يفتنُهم"[1]، وفيه إشعارٌ بخبرٍ مهمٍّ عظيم؛ لأنَّ شأن الأخبار العظيمة أنْ يُقدَّمَ قبلَها ما يُهيِّئُ النَّفسَ لقبولها؛ لتستأنسَ به قبل أن يَفجَأها[2]، وعليه فالنِّداءُ هنا دالٌّ على التَّنبيهِ وضرورةِ الاستعداد لِما بعده، وفيه إغاظةٌ للأولاد والأزواج الكافرين الَّذين يعادون آباءَهم المؤمنين لإيمانهم، ويؤذونهم بسببه[3]، وقد يكونُ النِّداء تحذيرًا من اللّه للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد؛ فإنَّ بعضَهم عدوٌّ لكم[4]؛ فكان التَّحذيرُ لإثارة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 282.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 51، 52.
(3) القاسمي، تفسير القاسمي: 9/ 246.
(4) السعدي، تفسير السعدي، ص: 868.

اليقظة في قلوب الَّذين آمنوا، والحذرِ من تسلُّل المشاعرِ الدّاعية للخوف والإدبارِ عن نُصرة الدَّعوة[1].

سرُّ التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ دون (المؤمنون):

علـوُّ شـأنِ المؤمنين وبيانُ كرامتهم

التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ دون الاسم الظّاهر (المؤمنون) له فائدتان:

الأولى: مناسبتُه لِما قبله في الآية الكريمة ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، فكأنَّ الله في هذه الآية يقول: أنتم المؤمنون المَعْنيّون بالوصف في الآية السّابقة.

الثّانية: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمٌ موصولٌ خاصٌّ، يختصُّ بالجمع العاقل[2]، فالاسمُ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصٌّ في المراد، وكونُهُ مختصًّا من شأنه أن يكونَ معهودًا لدى السّامع، ممّا يدلُّ على علوِّ الشَّأن[3].

وفي التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ دون (المؤمنون) دليلٌ على أنَّ الصِّلة سببُ الحكم؛ فالإيمانُ هو الدّاعي إلى تحذيرهم من طاعة الكفّار، وتركُ طاعة الكفّار من مقتضَيات الإيمان، وفيه دعوةٌ لكلِّ مَن تلبَّسَ بالإيمان - بدلالة الفعل على الحدوث - أنْ يأخذَ حذرَهُ ممّا يفتنُه عن دينه سواء كان من الأموال أو الأولاد أو الأزواج[4].

دلالةُ التَّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾:

ثبـاتُ الإيـمـان فـي نفوسهم، وظـهـورُه في سلوكهم

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على ثبات ذلك الإيمان في نفوسهم، وظهوره في سلوكهم وطبائعِهم، فجملةُ الصِّلةُ أفادت المدح والتَّقريظ، "فإتيانُ الفعل الماضي قُصد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 283.
(2) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 101.
(3) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإنجاز، ص: 34.
(4) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/ 1236.

به الالتباسُ والاستصحاب"[1]، ولأنَّ الاسم الموصول مع الفعل الماضي دلَّ على زمانٍ ماضٍ محدَّد، على خلافِ اسم الفاعل الَّذي لا يدلُّ على زمان محدَّد؛ لذلك آثر التَّعبيرَ بالفعل ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾.

سرُّ التَّعبير بقوله: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ دون (أسلموا):

الإيمانُ يشملُ الإسلامَ، ولا عكسَ

آثرَ القرآنُ التَّعبير بقوله: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ دون (أسلموا) لمناسبته لِما قبلَها ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، ولو جاء التَّعبير بالفعل الماضي (أسلموا) لربَّما ظَنَّ ظانٌّ أنَّ الَّذين آمنوا قومٌ غيرُ الَّذين وُصِفوا بالإيمان، ولأنَّ الإيمان تنزيهُ اللّه عن الشِّرك وتوحيده في العظمة[2]، كما أنَّ الإيمان صفةُ القلب؛ أي: آمَنوا بقلوبهم[3]، وهذا مناسبٌ لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وهذا التَّعبير من خصائص الأسلوب القرآنيِّ، فلم يأتِ في القرآن نداءُ المسلمين بقوله: (يأيُّها الَّذين أسلموا)، فكان النِّداء بالإيمان لا الإسلام؛ لِما يحملُه من معنى التَّصديق والاعتقاد.

نكتةُ حذف متعلَّق الإيمان:

بيانُ عمومِ الإيمان وشمولِه

حُذف متعلَّق الفعل ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾؛ لإفادة العموم والشُّمول، فالإيمانُ باللّه يقتضي الإيمانَ بكلِّ ما أُنزِلَ مِن كتبٍ وأُرسِلَ مِن رسلٍ، ويقتضي الإيمانَ بالملائكة، ويقتضي التَّسليم التّامَّ لكلِّ ما أنزله واللّه وشرعه من أحكام، فكان الحذفُ هو المحقِّقَ لهذه الغايات، ويضاف إلى ذلك أنَّ الحذف قُصد به الاختصارُ؛ لقيام القرائن الدّالَّة على الحذف، ولحثِّ المنادى عليه، بأنْ يكونَ سلوكه كلُّه متعلِّقًا بمتطلَّبات الإيمان من خشوعٍ وطاعة واستجابة للّه ورسوله، فكان التَّركيزُ على الفعل دون متعلَّقه.

---

(1) محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم - القسم الثالث الجزء الأول، ص: 187.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 118.
(3) السابق: 12/ 461.

دلالةُ تعدُّدِ المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾:

تمكينُ المعنى واستحضارُ الاهتمام بالخبر

تعدَّدتِ المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الآيةَ من خلال ﴿إِنَّ﴾ واسميَّةِ الجملة؛ للدَّلالة على أغراضٍ لفظيَّة ومعنويَّة، كتمكين المعنى في نفس المتلقّي وإزالةِ الشَّكِّ من نفسه؛ فربَّما شكَّ شاكٌّ في هذا الأمر، فجاء بالمؤكِّدات المتواليةِ لتثبيتِهِ، كما أنَّ في التَّوكيدِ اختصارًا للكلام، فذِكرُ ﴿إِنَّ﴾ أغنى عن تكرار الجملة مرَّتين أو أكثر[1]، والتَّوكيدُ يدلُّ على ضرورة الاهتمام بالخبر المتلوّ بعدَ أداة التَّوكيد، نظرًا لخطورتِهِ في كيفيَّة التَّعامل مع الأزواج والأولاد، يضاف إلى ذلك غرضٌ رابع؛ هو أنَّ التَّوكيد جعَلَ الآيةَ عامَّةً في كلِّ معصيةٍ يرتكبها الإنسانُ بسبب الأهل والولد، وخصوصُ السَّبب لا يمنعُ عمومَ الحكم[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾:

الاحتراسُ في الحكم

دلَّت ﴿مِنْ﴾ في الآية الكريمة على التَّبعيض، وعلامة التَّبعيض وضعُ لفظةِ (بعض) مكانَها مع استقامة المعنى، وهذا واضحٌ في هذا السّياق؛ فالمعنى: فإذا كان بعضُ أبنائكم وأزواجكم عدوًّا لكم؛ لما يفعلونه في سبيل إخافتكم فإنَّ ثَمَّ أزواجًا وأبناءً أصدقاءَ لكم يطيعونكم ولا يعصونكم، فدلَّ التَّبعيض على عراقة الإنصاف في ألفاظ القرآن وحروفه.

وممّا يُذكر في سبب دلالة ﴿مِنْ﴾ على التَّبعيض أنَّها جاءت لبيان الواقع وقتَ نزول هذه الآية؛ فقد كان أكثرُ أولاد المؤمنين عند نزول هذه الآية مشركين، فكانوا أعداءً للمسلمين[3]، وقد يقال: إنَّ ﴿مِنْ﴾ ههنا بيانيَّةٌ، وهذا لا وجهَ له؛ لأنَّه يترتَّبُ عليه معانٍ سيِّئةٌ في بنيان

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 2/ 402.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 140.
(3) الشيخ رشيد رضا، تفسير المنار: 10/ 116.

المجتمع، فيحلُّ الإزعاج مكانَ الطُّمأنينة؛ وينظرُ كلُّ والد إلى أولاده بعين الارتياب، وكلُّ زوج إلى زوجته بعين التَّوجُّس والرّيبة، وعلى هذا فالقولُ بالتَّبعيض هو الملائم لا القولُ بالبيانيَّة.

نكتةُ تقديم عداوةِ الأزواج على الأولاد:

العداوةُ في الأزواج أكثر

قُدِّمت عداوةُ الأزواج على الأولاد في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾؛ لأنَّ القرآن يقدِّم الكثير على ما دونه، ولمّا كانت العداوةُ في الأزواج أكثرَ منها في الأولاد[1] قدَّمَ الأزواج على الأولاد، ولمراعاةِ التَّرتيب الزَّمني، فالأزواجُ قبل الأولاد، فإنَّنا نجد أنَّ العداوة تأتي من الأزواج قبلَ الأولاد، ونعلم أنَّ الزَّوجة في بعض الأحيان هي الَّتي تكرهُ أوَّلًا ثم يتأثَّرُ بكراهيتها ويتشبَّهُ بها الأبناء، وهذا منطقٌ صحيح؛ لأنَّ الَّذي يتكلَّم هو ربٌّ حكيم[2]. فكان ذكر الأزواج أقعدَ في المعنى المراد، فقُدِّم[3]. ويضاف إلى ما سبق أنَّ عداوة الأزواج قد تُفضي إلى الفراق والطَّلاق فتصبح زوجتُه أجنبيَّةً عنه، أمّا عداوة الأبناء فقُصارُها القسوةُ والشِّدَّةُ لا الفراق، فقُدِّم ما هو أشدُّ على ما هو شديدٌ.

دلالةُ إضافةِ الأزواج والأولاد إلى ضمير المخاطب:

التَّخصيص وشمول الجنسين مع الدَّعوة إلى العفو والتَّسامح

دلَّت إضافة الأزواج والأولاد إلى ضمير المخاطب على التَّخصيص، فلو قيل: إنَّ من الأزواج والأولاد عدوًّا لَما اختصَّ الخبر بهم، بل كان على العموم، وفي تعيينِ ضمير المخاطب تمهيدٌ للتَّخصيص في ﴿لَّكُمْ﴾، فلو كان التَّعبير من دون ضمير المخاطب لَدلَّ على أنَّ مِن أزواجِ وأولاد الآخرين عدوًّا لكم، وهذا معنًى فاسدٌ لا يصلح، ولكان معنى ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ غيرَ ملائم لِما قبله.

(1) محمد أبو موسى، الإعجاز القرآني، ص: 435.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 8/ 4671.
(3) السيوطي، معترك الأقران: 1/ 135.

وممّا يُذكر في دلالة الإضافة وجودُ إلماحةٍ تربويَّةٍ أُسَريَّة، وهي استحباب العفو والصَّفح إنْ أخطأ أبناؤكم وأزواجكم؛ لأنَّهم في نهايةِ المطاف منكم، وأنتم بهم، وهذا يؤدّي إلى ضرورة تماسُك الأسرة وعدم قطع أواصرِ المودَّة والمحبَّة.

ومن بلاغةِ تركيب الإضافة بيانُ شمول الحكم للجنسين، فكما أنَّ الرَّجل يكون ولده وزوجه عدوًّا له كذلك المرأة يكونُ زوجها وولدها عدوًّا لها، يؤكِّدُ هذا أنَّ عموم قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يدخلُ فيه الذَّكر والأنثى؛ لدخولِهما في كلِّ آية[1].

دلالةُ تقديم شبه الجملة:

الاهتمامُ بالمتقدِّم والتَّنصيصُ على خطورته

قُدِّم شبهُ الجملة - وموقعُه الإعرابيُّ خبرُ ﴿إِنَّ﴾ - على اسمها؛ للاهتمام بهذا الخبر، ولِما فيه من تشويق إلى الاسم؛ ليتمكَّنَ مضمون هذا الخبر في الذِّهن أتمَّ تمكُّنٍ؛ لِما فيه مِن الغرابة والأهمّيَّة"[2]، وفي التَّقديم كذلك إلماحةٌ في دلالة ﴿مِنْ﴾ على التَّبعيض، ذلك أنَّ التَّعبير القرآنيَّ لو جاء: (إنَّ عدوًّا لكم من أزواجكم وأولادكم) لفاتَ معنى التَّبعيض، وأشكلَ المعنى، فيكون كلُّ الأزواج والأولاد عدوًّا، وهذا ليس مرادَ النَّصِّ، ففي تقديم شبه الجملة نصٌّ على تبعيضيَّة ﴿مِنْ﴾، فيكون المعنى: "إنَّ بعضهم كذلك، فمن الأزواج أزواج يُعادين بعولتَهنَّ ويخاصمْنَهم ويجلبْنَ عليهم، ومن الأولاد أولادٌ يعادون آباءهم ويعقّونهم ويجرِّعونهم الغصصَ والأذى"[3]، وفي هذا إشارةٌ إلى الإنصاف وتبيينِ الواقع، ودعوةٌ إلى معرفة سبب النزول.

نكتةُ تنكير ﴿عَدُوًّا﴾ مع إفرادها:

التَّقليل وعدمُ استشراء الظّاهرة

وقعتْ لفظةُ ﴿عَدُوًّا﴾ مفردةً منكَّرة؛ لبيان التَّقليل، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ ذلك ليس بكثير في المجتمع الإسلاميِّ، وإن كان

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 140.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 284.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 321.

موجودًا، لكنَّه لا يرتقي إلى مرحلةِ كونِهِ ظاهرةً، لكن ينبغي التَّحذيرُ منه كي لا يستشريَ ويتمدَّد؛ لذلك لم يأتِ التَّعبير بالجمع (أعداء)؛ لأنَّه يختلف عن المفرد؛ فلا يُرادُ به إلّا الجمع الَّذي يدلُّ على الكثرة في تعدُّد صور العداوة؛ بخلاف الإفراد، فإنَّه يدلُّ على الاتِّفاق في العداوةِ ووحدةِ الهدف فيها.

الحقيقةُ والمجاز في لفظةِ ﴿عَدُوًّا﴾:

الإخبارُ عن بعض الأزواج والأولاد بأنَّهم عدوٌّ يحتملُ الحقيقةَ والمجاز، فيجوز أن يُحملَ على الحقيقة؛ فإنَّ بعضهم قد يُضمر عداوةً لزوجه، وبعضُهم لأبويه من جرّاء المعاملة بما لا يَروقُ عنده مع خباثةٍ في النَّفس وسوءِ تفكيرٍ، فيصيرُ عدوًّا لمَن حقُّه أن يكون له صديقًا، ويكثر أن تأتي هذه العداوة من اختلاف الدّين ومن الانتماء إلى الأعداء، هذا على الحقيقة. ويجوز أن يكون على معنى التَّشبيه البليغ؛ أي: كالعدوِّ في المعاملةِ بما هو مِن شأن معاملةِ الأعداء، كما قيل في المَثَل: (يفعلُ الجاهلُ بنفسه ما يفعلُ العدوُّ لعدوِّه). وهذا من استعمال اللَّفظ في حقيقتِه ومجازِه[1].

العداوةُ بين خباثة النَّفس وسوء التَّفكير

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَّكُمْ﴾:

دلَّت اللّام في قوله: ﴿لَّكُمْ﴾ على معنى التَّخصيص لا على العموم؛ لأنَّ هذه الظّاهرةَ ليست شأنًا عامًّا في المجتمع المسلم، بل سلوكٌ خاصٌّ كما فسَّرَهُ سببُ نزول الآية أنَّ بعضَ الأزواج والأولاد كانوا داعين للآباء على الكسلِ والتَّخلُّفِ عن الجهاد، ويجوزُ أن يكون معنى اللّام الاستحقاقَ، والمراد استحقاقُ الآباء المتقاعسين عن اللَّحاق بركْبِ الجهاد عداوةَ الأبناء؛ لضعفِ العزيمة وقلَّة الإرادة، فكأنَّ مَن يتخلَّفُ عن الجهادِ يستحقُّ عداوةَ الأزواج والأبناء؛ ففي اللّام إذن اتِّساعٌ في دلالة الموقف، فالآباءُ مقصِّرون؛ لأنَّهم ضعُفوا

عداوةُ الأزواج والأبناء على الخصوص لا العموم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 284.

واستكانوا واستجابوا لوسوسة الأزواج والأبناء، وكذا الأبناءُ لديهم قصورٌ؛ لأنَّهم سببٌ في التَّقاعس.

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾:

وقـوعُ العـداوة من الأبناء للآباء خـــروجٌ عـن الأصل

الفاءُ في هذا السّياق هي الفصيحةُ، وهي الَّتي تُفصح عن شرطٍ مقدَّرٍ؛ أي: إنْ عرفتُم ذلك فاحذروهم[1]؛ لأنَّ الأصل عدمُ وقوع العداوة، لذلك يستغربُ البعض مثلَ هذا الأمرِ؛ فكأنَّ الفاء أفصحت عن وجود ذلك، وأشارت إلى أنَّ كثيرًا من النّاس يجهلُ هذه الحقيقة، فإنْ ظهر لكم أمرُ العداوة فاحذروهم، ويجوز أن يكونَ معناها السَّببيَّةَ؛ لأنَّ عداوتهم سببٌ للأمرِ بالحذر[2].

سرُّ الحذرِ مِن الجميع لا البعضِ في قوله: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾:

بـيـانُ الـحـذر مـن مـجـمـوع الـفـريـقـين؛ لاشتمالهم على العداوة

الأصلُ أنْ يكون الحذرُ من بعضهم لا كلِّهم، على اعتبار أنَّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ تبعيضيَّةٌ؛ لكنْ جاء التَّعبير بصيغة الجمع ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾، وذلك من باب الإشارة إلى زيادة التَّحذير والخوف من كلِّ أحد؛ يؤكِّدُ هذا عبارةُ الشَّوكانيِّ:" والضَّميرُ في ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ يعودُ إلى العدوِّ، أو إلى الأزواج والأولاد، لكنْ لا على العموم، بل إلى المتَّصفين بالعداوة منهم"[3]، ففي الآيةِ مجازٌ مرسلٌ بعلاقة الكلّيَّةِ عندما ذكرَ الكلَّ وأرادَ الجزء بقرينةِ ﴿مِنۡ﴾ التَّبعيضيَّة.

ويجوزُ أن يقالَ توجيهًا لهذا العموم: إنَّ الحذر نوعان: الحذرُ عن البعض؛ لأنَّ منهم مَن ليس بعدوٍّ، والحذرُ عن مجموع الفريقين؛ لاشتمالِهم على العدوِّ[4].

(1) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 114.
(2) القونوي، حاشية القونوي: 19/ 120.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 284.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 321.

سرُّ التَّعبير بالحذرِ دون غيره في قوله: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾:

الاحـــتراز من الـــشَّيء قـبـلَ حصوله

آثرَ القرآن الكريم التَّعبيرَ بالحذر دون غيره؛ لأنَّ الحذر يحمل معنى الاحتراز من شيء مخيف لم يقع بعدُ؛ فهو أمر غيرُ متحقِّقٍ وقوعُه بعدُ، وهذا واضحٌ في عداوة الأزواج والأولاد؛ فالأصلُ ألّا تقع هذه العداوة، لكن قد يعتري هذه العلاقةَ ما يوجب الحذر من دعوة الأبناء والزَّوجات إلى ما يؤدّي إلى التَّقصير في حسن علاقةِ العبد بربِّه، كما تروي كتب التَّفسير في سبب نزول هذه الآية؛ من منع بعض الأولاد لآبائهم من اللَّحاق بالجهاد أو الذَّهاب إلى المدينة للَّحاقِ بالرَّسول ﷺ، وهذا من باب التَّثبيط عن كمال الطّاعة، ولا يفعلُ ذلك إلّا الشَّيطانُ؛ لعداوته للإنسان؛ ففعلُهم هذا كفعلِ العدوِّ.

دلالةُ حذفِ مُتعلَّقِ ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾:

الـحـذرُ شاملٌ لأمـــورِ الـدُّنـيـا والدّين

دلَّ حذفُ متعلَّق ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ على العموم؛ لأنَّ الحذرَ يكون من ضررٍ في البدن، ومن ضررٍ في الدّين، وضررُ البدن يتعلَّق بالدُّنيا، وضرر الدّين يتعلَّق بالآخرة، فحذَّرَ اللّه سبحانه العبدَ من ذلك وأنذرَهُ به[1]، فكان الحذفُ شاملًا لأمرَي الدُّنيا والآخرة.

دلالةُ العطف في قوله: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾:

عـدمُ المـؤاخـذةِ على الظَّنِّ أجدرُ بالطَّلب

في العطفِ دلالةٌ على الاحتراس؛ لأنَّه إذا كان العفوُ مطلوبًا محبوبًا إلى اللّه تعالى – وهو لا يكونُ إلّا بعد حصول الذَّنب – فإنَّ عدم المؤاخذة على مجرَّد ظنِّ العداوة أجدرُ بالطَّلب؛ ففُهم النَّهيُ عن معاملة الأزواج والأبناء معاملةَ الأعداء لأجل إيجاس العداوة، بل المقصودُ مِن التَّحذير التَّوقّي وأخذُ الحيطة لابتداء المؤاخذة[2].

نكتةُ الشَّرط بـ(إنْ) دون (إذا):

قـلَّـةُ الـوقـوع مع الـدَّعـوة إلى ضرورة العفو

أوثِرَ التَّعبيرُ بـ(إنْ) دون (إذا)؛ للدَّلالة على قلَّة وقوع الحدث في

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 140.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 284.

المجتمع الإسلاميِّ، وللتَّحريض والإقدام على ضرورة العفو والصَّفح والغفران بدلَ العقوبة والمؤاخذة.

دلالةُ التَّعبير بالأفعال المضارعة المتتابعة:

جاءَ التَّعبير بالمضارع في قوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾؛ لأنَّ المضارع دالٌّ على التَّجدُّدِ والاستمرار واستحضار قيَمِ الصَّفح عن الأزواج والأولاد، وإظهارِ رحابةِ هذه القيَمِ وبابِها المتَّسع، ويضاف إلى ذلك أنَّ التَّعبير بالمضارع فيه دلالةٌ على تجدُّد هذه الأفعال في كلِّ الأوقات؛ مُقابَلةً لتجدُّدِ وقوع العداوة من الأزواج والأولاد.

بيانُ تجدُّدِ العفو والصَّفح والمغفرة في مقابلةِ تجدُّدِ العداوة من الأزواج والأولاد

دلالةُ تكرارِ هذه الأفعال مع قُربها في المعنى:

كرَّرَ العفوَ والصفح والمغفرة مع قربها في المعنى؛ للزّيادة في تحسين عفوِ الوالد عن ولده والزوج عن زوجته، والدَّعوةِ إلى تحقيق ذلك مع الاختلاف في مستويات العفوِ والصَّفح؛ لذلك كان التَّعبير بهذه الأفعال مع ما فيها من اشتراكٍ في المعنى العامِّ لتحقيقِ الغرض المقصود من إصلاح العلاقة الأسريَّة، وهو موضعٌ يكونُ التَّكرير للمعنى المراد وإن اختلفت ألفاظُه أولى بالاستعمال[1]؛ لرَأْبِ الصَّدعِ ونَزْعِ الوساوس من الأسرة.

الدَّعوة إلى تحقيقها باختلاف مستوياتها؛ سعيًا إلى إصلاح الأسرة المسلمة

دلالةُ التَّرتيب في قوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾:

دلَّ التَّرتيبُ في الآية على التَّرقّي في الأمر بمكارم الأخلاق من الحَسَن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل[2]؛ لأنَّ العفوَ محوُ ذنبٍ، ويكتمل المحوُ بتركِ التَّثريب والمؤاخذة، ويزدادُ الأمرُ صفحًا بإخفاء كلِّ سبيلٍ إلى المؤاخذة.

دلالةُ الأفعال على المَحْوِ ثمَّ تركِ التَّثريب مع الإخفاءِ التّامِّ للخطأ

سرُّ تأخيرِ المغفرة عن العفو والصَّفح:

جاء تأخير المغفرة عن العفو والصَّفح في قوله تعالى: ﴿وَإِن

مراعاةُ المُجاورة

(1) ابن الأثير، المثل السائر: 2/ 162.

(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 362.

تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾ لمناسبةِ ما بعده، ولأنَّه تمهيدٌ لقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، ولأنَّ المغفرة صيانةٌ للعبد عمّا استحقَّه من العقاب للتَّجاوز عن ذنوبه، من الغَفر، وهو إلباسُ الشَّيءِ ما يَصونُه من الدَّنس[1].

علَّةُ حذفِ مُتعلَّقِ الأفعال الثَّلاثة:

دلالـةُ السّياق مع إرادةِ عموم الـتَّرغيـب في العفو

حُذف متعلَّقُ الأفعال الثَّلاثة في الآية؛ لدلالةِ السّياق على المعنى المراد، وهو: ﴿تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾ عمّا صدر من أولادكم وأزواجكم ممّا يؤذيكم، ولإرادةِ عموم التَّرغيب في العفو[2]؛ بمعنى أنْ تصيرَ هذه الأخلاق طبيعةً ساريةً في أخلاق المسلم، فيُعرفَ بها لا بغيرها، فكان حذفُ المتعلَّقِ دالًّا على ذلك، ولإحداثِ التَّناسب بين الأفعال بحذف المتعلَّق في الجميع.

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾:

الـتَّرغيـبُ في العفوِ والصَّفح والغفران

الفاءُ في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ استئنافيَّةٌ تعليليَّة؛ لأنَّ جملة الجواب محذوفة، والتَّقدير: يعاملْكم بمثلِ ما عاملتم به؛ لأنَّه غفور رحيم، وفي ذلك حثٌّ على هذه الأفعال؛ سعيًا إلى تعزيزِ روابط الأسرة المسلمة.

دلالةُ حذفِ جواب الشَّرط:

الـحـثُّ عليه؛ لـعـلـمِـه مِـن السّياق

حُذف جواب الشَّرط لقوله: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾؛ للتَّرغيب في العفو والصَّفح والغفر، فالتَّقدير: وإنْ تعفوا وتصفحوا وتغفروا يحبَّ الله ذلك منكم؛ لأنَّ الله غفورٌ رحيم؛ أي: للَّذين يغفرون ويرحمون[3].

دلالةُ التَّأكيد في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

الـدَّعـوةُ إلى التَّخلُّق بما حثَّ الله عليه

أُكِّدت هذه الجملةُ بحرف التَّأكيد (إنَّ) مع اسميَّة الجملة؛

(1) الراغب، المفردات: (غفر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 285.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 285.

للدَّعوة إلى التَّخلُّق بهذه الخصال في إصلاح العلاقة الأسريَّة، ولبيان أهمّيَّة الاستمساك بهذه الخصال؛ كي تكونَ خلقًا دائمًا وطبيعةً مستقرَّة.

نكتةُ تذييلِ الآية بقوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

الامتنانُ مع التَّرغيب والدَّعوة لنشرِ ثقافة العفو

ذُيِّلت الآية الكريمة بوصفين جليلين للّه ﷻ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وفي التَّذييل نكاتٌ:

الأولى: قصدُ الامتنان على المؤمنين عامَّةً لا المخالفين فقط بالغفران والرَّحمة.

الثّانيةُ: التَّرغيب في العفو والغفران بدلالةِ صيغ المبالغة (فعول وفعيل)، والصّيغتان دالَّتان على الكثرة مع التَّكرار، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ العباد سيتكرَّرُ منهم الخطأ، ومغفرة اللّه ورحمته تمحو ذلك.

الثّالثةُ: في اللَّفظتين دعوةٌ صريحة إلى نشر ثقافة العفو والغفران.

دلالةُ تقديم لفظةِ ﴿غَفُورٌ﴾ على ﴿رَّحِيمٌ﴾:

مراعاةُ الجناس الاشتقاقيّ

في تقديمِ الغفور على الرَّحيم مناسبةٌ بين ألفاظ الجناس الاشتقاقيِّ: ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾، ﴿غَفُورٌ﴾، فاللَّفظتان متتابعتان متناسبتان، ولأنَّ المغفرةَ تخليةٌ، والرَّحمةَ تحليةٌ، والتَّخلية مقدَّمة على التَّحلية.

سرُّ التَّعبير باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾:

زرعُ المهابة والخشية

جاء التَّعبير باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ دون الإضمار؛ فلم يقل: (فإنَّه)؛ لإدخالِ المهابة والخشية في النَّفس، ولأنَّ المغفرة تعني ستر الذُّنوب، ولا يتأتّى ذلك إلّا مِن القادر الَّذي يجمع صفاتِ الجمال والجلال.

الفرقُ بين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ و(الغفورُ الرَّحيم):

التَّنكيرُ حديثٌ عن مخالفات البشر، والتَّعريف في التَّوحيد والتَّعظيم

النّاظر في سياق أسلوب القرآن يجدُ اقتران المغفرة بالرَّحمة تارةً منكَّرة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وتارةً معرَّفة (الغفور الرَّحيم)، وكلٌّ منهما له دلالة؛ فإذا كان الحديثُ عن مخالفات البشر ومعصيتهم

أتى الأسلوب بالتَّنكير ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غالبًا؛ أمّا إذا كان عن توحيد اللّه ﷻ وإثبات صفاته فإنَّه غالبًا ما يأتي معرَّفًا (الغفور الرَّحيم)[1].

بلاغةُ جناس الاشتقاق بين ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ و﴿غَفُورٌ﴾:

استدعاءُ السَّمع مع ربط السبب بالنتيجة

في الجناس الاشتقاقيِّ استدعاءٌ لميل السّامع للإصغاءِ إليه؛ لأنَّ النَّفس تستحسن تقارب الكلمات، شريطةَ أن يكون المعنى هو الرَّئيسَ، وفي الجناس دعوةٌ إلى تأكيد سيطرة ثقافة المغفرة ومحوِ الذُّنوب وسترها، وبخاصَّة إذا لم تكن الذُّنوب متعمَّدةً، يؤكِّد ذلك الجمعُ بين المضارعِ الدّالِّ على الاستمرار والدَّوام واستحضار صورة المغفرة، وبينَ الاسميَّة ﴿غَفُورٌ﴾ الَّتي جاءت على صيغة المبالغة الدّالَّة على عراقة المغفرة وثباتِها من قِبَلِ اللّه ﷻ، وفي الجناسِ ربطٌ بينَ السَّبب والنَّتيجة؛ فإنَّكم إنِ اتَّصفتم بغفران الذَّنب فنتيجتُه إحسانٌ إليكم بغفران ذنوبكم، فدلَّ الجناسُ الاشتقاقيُّ مع دلالة الصّيغ على أهمّيَّةِ ثباتِ صفة الغفران في المجتمع.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأبناء والأولاد:

هناك فرقٌ بين الولد والابن؛ فالابنُ يفيدُ الاختصاص ومداومة الصُّحبة، ولهذا يقال: (ابنُ الفَلاة) لمن يداومُ سلوكَها، وتقول: (تبنَّيت ابنًا) إذا جعلتَهُ خاصًّا بك، ويجوزُ أن يقال: إنَّ قولنا: هو ابن فلانٍ يقتضي أنَّه منسوب إليه، ولهذا يقال: النّاسُ بنو آدمَ؛ لأنَّهم منسوبون إليه، ولأنَّ أصل الابن التَّأليف والاتِّصال، من قولك: بُنَيَّة، ولهذا جُمع على (أبناء)، فكان بين الأب والابن تأليف.

أمّا الولدُ فيقتضي الولادةَ ولا يقتضيها الابنُ، ولا يُسمّى الإنسانُ والدًا إلّا إذا صار له ولدٌ، وليس هو مثلَ الأب؛ لأنَّهم يقولون في

(1) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية في الذكر الحكيم: 2/ 206.

التَّكنية: أبو فلان وإنْ لم يلد فلانًا، ولا يقولون في هذا: والد فلان، ويقال: الابنُ للذَّكر، والولدُ للذَّكر والأنثى[1]، وقيل: الأولاد تُطلَقُ عرفًا على أولاد الأبناء، بخلاف الأبناء؛ فإنَّها تطلقُ عليها بدليل دخول الحفدة في المستأمَن على أبنائه، فبينهما عمومٌ وخصوص، فلا يلزم من تناول لفظِ الابن له تناولُ لفظِ الولد[2]، وممّا يقال في الفرق بينهما: إنَّ لفظة (ولد) تصلُح أن تكون مفردًا وجمعًا[3]، أمّا الابن فهي للمفرد وحده.

العفو والصَّفح:

ذهبَ البعضُ إلى أنَّ العفو والصَّفح بمعنًى في اللُّغة، ولكنَّ الأدقَّ أنَّ كلَّ لفظ منهما له معنًى يميِّزه من الآخر؛ فالصَّفح: تركُ التَّثريب، وهو أبلغُ من العفو؛ لأنَّه مأخوذ من صفحة الوجه؛ كأنَّه أعرض بوجهه منصرفًا عن ذنبه غيرَ ملتفت إليه؛ فهو بذلك أوْلاهُ صفحةً جميلة من وجهه، معرضًا عن ذنبه، أمّا العفوُ فهو التَّجاوز عن الذَّنب مع ترك العقاب عليه، مأخوذ من العفو بمعنى الفضل؛ فهو أقلُّ من الصَّفح؛ لأنَّه قد يعفو الإنسانُ ولا يصفح. وقيل: العفوُ ترك عقوبة المذنب، والصَّفحُ: تركُ لومه. ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: 109]؛ ترقّيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحَسَنِ إلى الأحسنِ، ومن الفضلِ إلى الأفضل[4].

(1) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 282.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 27.
(3) الراغب، المفردات: (ولد).
(4) العسكري، معجم الفروق اللغوية: 362، وابن منظور، لسان العرب: (صفح)، والراغب، المفردات: (صفح).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"